

## أحمد فوزي الهيب وجهوده العلمية في إثراء العربية

( نقدا وتحقيقا )

The endeavor of the researcher Ahmed Fawzy Al-Heeb  
to enrich Arabic

عبد الهادي بوراس\*

جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 02 (الجزائر)

abdelhadi.bouras@univ-alger2.dz

تاريخ القبول: 2021/12/22

تاريخ الإرسال: 2021/12/12

### الملخص:

تطرح هذه الدراسة أعمال الباحث والمحقق أحمد فوزي الهيب، قصد إبراز جهوده العلمية في الحفاظ على التراث العربي من خلال تحقيقه للعديد المؤلفات، أبرزها كتاب الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية، وكتاب العروض لابن جني، وكتاب العلم لأبي حامد الغزالي، وديوان ابن الوردي، وديوان المقصد الصالح في مدح الملك الصالح لابن جابر الأندلسي، وغيرها من الكتب، وسعيه في إثراء العربية وإنضاج المدرك المعرفي، من خلال مؤلفاته المتمثلة في كتاب الحركة الشعرية زمن الأيوبيين، وكتاب الحركة الشعرية زمن المماليك، وكتاب إيقاع الشعر العربي من الدائرة إلى الحرف، ومن نشاطاته العلمية كالجانب البديعي في شعر ابن الوردي، وقراءة في موسيقى قصيدة للممتني، وفكّه للبحر المنبسط في دوائر الخليل العروضية، وغيرها من الأعمال التي تعتبر بحق جهودا ثمرة في إثراء المكتبة العربية.

الكلمات المفتاحية: فوزي الهيب، النقد، التحقيق، التراث.

### Abstract:

"With the aim of highlighting his scientific efforts, this study presents the work of Ahmed Fawzy Al-Hayb, a Syrian researcher and investigator of many famous books, it deals his endeavor to enrich Arabic and develop the perceptive knowledge that was, as an example,

\*المؤلف المرسل: عبد الهادي بوراس.

highly reflected in his books like in "Poetic Movement in the Time of The Ayyubids" and others."

**Key words:** Fawzi Al-Hayb, investigator, perceptive knowledge

### مقدمة:

إن نظرة فاحصة في تاريخ العلم والعلماء تكشف لنا أهم سُنَّة من سننهم، المتمثلة في متابعة الخلف لموروث السلف، فالإمام الشافعي كان تلميذ الإمام مالك، والإمام أحمد كان تلميذ الشافعي، ورأينا ابن جني يبسط علم شيخه أبي علي، وإنه لمن الجور أن نمر على مقولة سيبويه دون أن نأخذ منها منهجا أساسيا في بناء العلم وتطوره، وهو يقول لصاحبه علي بن نصر: «تعال حتى نتعاون على إحياء علم الخليل»<sup>1</sup>، فإبراز جهود العالم ومواصلة سيره قائمة على عاتق طلبته، يواصلون ما بدأه، ويتداركون ما فاته، وهو ما فهمه الغرب في بنائهم الحضاري، وإن فضل بزوغ فجر اللسانيات يعود لطلبة فارديناد بقدر ما يعود لأستاذهم سوسير، كما رأينا ستيفانز فايغ يشيد بصنيع طلبته بعد جمعهم لأعماله، ما دفعني أن آخذ على عاتقي حفظ جهود أستاذي أحمد فوزي الهيب رحمه الله، سعيا لمواصلة مشروعه، وعملا بوصيته يوم أوصاني أن تبقى أعماله صدقة جارية، ولم أجد ما يجعل من العلم صدقة جارية أكثر من التعريف به وبجهوده من جهة، ومواصلتها من جهة أخرى، فاجتهدت في تقديم بحثي هذا الموسوم ب: أحمد فوزي الهيب وجهوده العلمية في إثراء العربية (نقدا وتحقيقا)، انطلاقا من السؤال التالي: فيما تمثلت جهود الأستاذ أحمد فوزي الهيب؟ وما ودورها في إثراء العربية والتصدي لمشكلاتها وأثرها الفاعل في إنضاج المدرك المعرفي للمجتمع؟

## 1- السيرة الذاتية للأستاذ أحمد فوزي الهيب:

### 1-1 أحمد فوزي الهيب مولده ومكانته:

ولد الأستاذ الدكتور أحمد فوزي الهيب في محافظة حلب عام 1946م، حاز فيها على شهادة البكلوريا سنة 1966م بسورية، فالتحق بجامعة الإسكندرية ليتخرج منها بشهادة الدكتوراه سنة 1983م، تقلد بعدها وظائف علمية أبرزها مدرس للغة العربية في جامعة الكويت 1982-1990م، لينتقل بعدها إلى الجزائر محاضرا في جامعة أبي القاسم سعد الله سنة 2013، حتسوافته المنية في 16 من يناير 2021.

### 2-1 أعماله و مؤلفاته:

رحل الشيخ مورثا وراءه كنزا معرفيا جاوز العشرين عملا علميا بين التحقيق والتأليف، مقدما للعربية وشعبها زادا بذل فيه عمره لإثراء المكتبة العربية بإحياء تراثها وتحقيقه، والسعي وراء تطويره والتجديد فيه، تاركا فراغا وثلما في نفوس من عاشروه وطلبوا العلم على يديه، لما تعلموه منه من علم، ومن أخلاق العلماء، ومن أبرز مؤلفاته - رحمه الله- في مجال التحقيق: كتاب العروض لابن جني، والحسن الصريح للصفدي، وديوان نظم العقدين في مدح سيد الكونين لابن جابر الأندلسي، وديوان المقصد الصالح في مدح الملك الصالح لابن جابر، وكتاب شعر ابن جابر جمعا وتحقيقا، وكتاب تاريخ دمشق لابن عساكر، والدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية، أما مؤلفاته فتمثلت في كتاب الأدب وروح العصر مع د. عبده بدوي، ود. محمد حسن عبد الله، وكتاب الحركة الشعرية زمن الأيوبيين، وكتاب الحركة الشعرية زمن المماليك، وكتاب الجانب العروضي عند حازم القرطاجني، وكتاب إيقاع الشعر العربي دراسة في فلسفة العروض، ثم كتاب التصنع وروح العصر المملوكي، زيادة على البحوث

العلمية المنشورة في المجلات المحكمة، ما يدل على حرصه واجتهاده في تقديم واجبه تجاه العربية، وإيمانه بدور الكتب والمكتبات في التطور كونهما: «أساس النشاط العلمي في أي زمان ومكان، وبغيرهما لا تستطيع المدارس أن تؤدي رسالتها، ولا يمكن للحياة العلمية أن تزدهر من غيرها»<sup>2</sup>، وإن أول هذه الكتب هي كتب التراث، إذ لا بد لهذه الأمة «من العودة إلى جذورها وأصولها، تعتصم بها وتستمد منها القوة، ولكن هذه العودة إلى الجذور لا تعني التطرف ولا الجمود على القديم والتقوقع عليه، وسد جميع الأبواب والنوافذ أمام رياح التجديد، وإنما تعني هذه العودة أن نتخذها أساساً نستند إليه، ثم ننطلق منه بقوة وصحة إلى الحاضر مستفيدين من كل معطياته، كائنا ما كان مصدرها، فالحكمة ضالة هذه الأمة»<sup>3</sup>، وبعد هذا ما لنا إلا أن نسأل الله تعالى أن يرحمه برحمته الواسعة، وأن ينزل كل علماء الأمة الإسلامية مقاعد الصدق في جنات ونهر، ولا أقول فيه إلا كما قال المتنبي:

ولقد عُرِفَت وما عُرِفَت حقيقةً      ولقد جُهِلَت وما جُهِلَت خمولا

2- جهود الأستاذ أحمد فوزي الهيب في إحياء التراث تحقيقاً وتأليفاً:

إن أساس تطور الأمم ورقمها في مجال العلوم يرجع إلى عنايتهم بتراثهم، فليس التجديد إلا « نسيجا جديدا لخيوط قديمة»<sup>4</sup>، وإن أول خطوة لنهوض الأمة بتراثها يعود إلى تحقيق مخطوطاتها، وإخراجها في قالب منظم يتدارك ما خلفه الدهر فيها من طمس، فالمحقق هو حامي التراث من جهة، وأول جنود النهضة من جهة أخرى.

## 1-2 جهود في إثراء العربية جمعا وتحقيقا:

والمأمل في مشروع الدكتور أحمد فوزي الهيب رحمه الله يجد أنه يحمل على عاتقه رد تهمة الضعف والانحطاط على العصر الأيوبي والمملوكي والعثماني، ومرد هذه الدعوة إلى نتائجهم الذي بقي دون تحقيق من جهة، وقلة البحوث العلمية فيه من جهة، فعمل على ملء هذا الفراغ من خلال تحقيقه لجملة من الكتب تدور في هذا الحقل أبرزها ديوان ابن الوردي الذي رأى أن «مخطوطاته تساعد في إعطاء صورة واضحة دقيقة صادقة، عن هذا العصر»<sup>5</sup>، فبذل لأجله جهودا مضنية شاقّة دامت ثلاث سنوات<sup>6</sup>، ليحقق من بعده كتاب العروض لـ: ابن جني الذي بقي غفلا بعد أن نفذت نسخه التي حققها الدكتور حسن شاذلي فرهود، فرأى من اللازم أن يعيد تحقيقه حفاظا عليه، وتثبيتا له في حقل البحث العلمي عموما و العروضي على وجه التحديد، كما خصّ ابن جابر الأندلسي بأكبر قدر من العناية، فحقق له كتابين هما: ديوان نظم العقدين باعتباره معلما هاما من معالم الشعر في العصر المملوكي، لما يقدمه من صورة واضحة جليّة عنه، وعن تعاظم الروح الدينية، حفِظَ فيه الأستاذ، مائة وثمانين عشرة قصيدة، ومسمطتين، أما الديوان الثاني، فهو ديوان المقصد الصالح الذي بلغت أبياته خمسة آلاف بيت وخمس مئة بيت وأربعة بيتا، يشتمل عليها مئة وخمس وعشرون قصيدة، جمعها الأستاذ وحقّقها، بعد أن كابد عناء السفر إليها، كونها المخطوطة الوحيدة في بوصة بتركية<sup>7</sup>، كما جمع لابن جابر أشعاره في كتاب سمّاه كتاب شعر ابن جابر الأندلسي بعد ما رأى «أن ثمة شعرا كثيرا، تجاوز الألفين من الأبيات، قصائد ومقطعات، في أغراض كثيرة لابن جابر الأندلسي، منثورا ومتفرقا، الأمر الذي أرانا ضرورة أن نتحمل عبء القيام بذلك بعدما انتهينا من تحقيق ديوانه نظم العقدين»<sup>8</sup>، ليختتم سلسلة التحقيقات بكتاب الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب: ابن خطيب الناصرية

وهو من أكبر وأهم الكتب التي عني بتحقيقها، فأخرجها في ستة أجزاء، أما أهميته فتتمثل في اعتباره واحدا من أهم الكتب التي أرخت لحلب بعد كتاب بغية الطلب لابن العديم، حاملا عبء تخريجه، خصوصا وأن النسخ المعتمدة كانت إما ناقصة، وإما محرّفة مطموسة، فحافظ على هذا التراث الذي ترجم فيه ابن خطيب ل: 1668<sup>9</sup> علما من الأعلام الذين ولدوا في حلب أو عملوا فيها، أو سافروا إليها.

## 2-2 جهوده في إثراء العربية تأليفا:

إن المتأمل في أعمال الدكتور أحمد فوزي الهيب – بحثا وتحقيقا- يلاحظ أن جلّها إن لم نقل كلّها يُستهل بقوله: «استوقفني منذ زمن بعيد ذلك الاسم الذي أطلقه بعض الباحثين على العصور الأيوبية والمملوكية والعثمانية، وهو عصر الانحطاط أو الانحدار بعد أن أشاروا إلى نتاجه الأدبي إشارة عجلية، وأتوا ببعض الشواهد القليلة ليبرهنوا على صحة دعواهم، ولكن هذه الشواهد القليلة غير مقنعة بهذا الحكم الذي أعتقد أنه جائر، وبخاصة إذا عممناه على قرون العصر كلها»<sup>10</sup>، الأمر الذي يوضح لنا الإشكالية التي يحملها الأستاذ في كل مؤلفاته، والدافع الأساسي للتحقيق والتأليف، وقد تبدو هذه المقدمات على أنها تكرار محض، غير أنها في الحقيقة شبيهة باللازمة في الشعر، والتي تمثل لبنة أساسية تعكس ما يدور في فكره، وليس الأمر بالتكرار المذموم إنما هو تكرار بلاغة؛ لأنك لو رتبت أعماله تاريخيا، فإنك بعد أن تتم الكتاب الأول وتبدأ بالثاني يصير هذا التكرار حاملا لمعان في نفسك لم تجدها في الأول، وكلما استوفيت كتابا، وقرأت غيره وجدت لمعنى تكراره خاصية أخرى، لتصير بعد ذلك تهمة الانحطاط ماثلة بين يديك تجمع لك كل أعمال الأستاذ، فكأن فكرة الانحطاط هي السلك الناظم لحبات العقد التي تمثلها الكتب التي حققها،

وألفها بداية من كتاب الحركة الشعرية زمن الأيوبيين وصولاً إلى كتاب الدر المنتخب في تاريخ حلب.

## 2-2-1: كتاب الحركة الشعرية زمن الأيوبيين:

والملاحظ من مقدماته أن جهوده في توضيح معالم وجهود هذا العصر لم تقف عند التحقيق، بل على العكس من ذلك لم يكن التحقيق إلا الخطوة الأولى للدرس والتحليل؛ إذ لم يقتنع بمقولة الانحطاط مقارنة بالآثار العلمية والمعمارية والعسكرية التي خلفها هذا العصر، وكيف تكون عصور انحطاط» وقد نبغ فيها أعلام عظام، مثل ابن خلدون وابن تيمية، والمولى جلال الدين الرومي، وأبي شامة، وابن خلكان والبوصيري، وابن عطاء الله السكندري، وابن منظور، وابن حجر العسقلاني، وصفي الدين الحلي، وابن نباتة المصري، وكثيرين غيرهم ممن يصعب استقصاؤهم»<sup>11</sup>، فاجتهد في تعزيز فكرته بالحجة من خلال كتابه الحركة الشعرية زمن الأيوبيين، مستهلاً حديثه بلمحة عن الموضوع الجغرافي والحياة الاجتماعية والثقافية، ليربطها في الفصول اللاحقة بتأثيرها في النتاج الشعري، فعرض في مجمل حديثه صورة الترف والغنى والكرم الذي اتسم به العصر الأيوبي، من اهتمام ببناء القصور وزخرفتها، وما تميّز به ملوكها من ثقافة واسعة وعلم وأدب، جعلهم يشاركون العلماء والفقهاء والشعراء، ومن ملوكها من كان شاعراً كالملك الناصر، ما جعل الشعراء يغنمون بمكانة مرموقة منذ دخول صلاح الدين الأيوبي، ويقصدونها من كل حذب وصوب مادحين لملوكها، ومن الشواهد على عناية ملوك الدولة الأيوبية بالشعراء ما ذكره الدكتور أحمد فوزي الهيب في حديثه عن سليمان بن عبد المجيد يوم حضر مجلس الناصر، فأسند ظهره إلى الطراحة، فقال له أستاذ الدار: السترة ورائك، فقال الملك الناصر: سلمان منا آل البيت، فأنشده سليمان<sup>12</sup> قوله:

رَعَى اللهُ مَلِكًا مَا لَهُ مِنْ مُشَابِهِ      يَمُنُّ عَلَى الْعَانِي وَلَمْ يَكُنْ مَنَانًا  
لِإِحْسَانِهِ أَمْسَيْتُ حَسَانَ مَدْحِهِ      وَكُنْتُ سُلَيْمَانًا فَأَصْبَحْتُ سَلْمَانًا

وتبعهم في ذلك وزراء الدولة الأيوبية مثل القفطي الذي مدحه ياقوت الحموي، وابن العديم الذي مدحه ابن المرصص وغيرهم، كما قرّبوا العلماء والكتاب، وأسسوا دورا خاصة بكل مجال، ما جعلها تشهد «حركة ثقافية عظيمة، نمت وتفرّعت على أيدي فقهاء ومحدثين ومفسرين وشعراء وكتاب و بلاغيين ولغويين ومؤرخين وأطباء وغيرهم بعد أن سهّل لهم الأيوبيون السبل كافة»<sup>13</sup>، فأثروا المكتبة بمؤلفاتهم في كل المجالات من لغة وتفسير وتاريخ، وفلك وغيرها من العلوم.

فكان من الطبيعي أن تعود هذه العناية على الحكام بالمدح، إذ كثرت مدائح الشعراء للملوك الدولة الأيوبية و رجالاته، فمدحوا الملك الظاهر والناصر والعزیز، وجاءت مدائحهم في قالب تقليدي، اهتم فيه الشعراء بالفضائل المعنوية، فألحوا على الكرم، وشبهوا بالغيث، يقول عبد العزيز العجمي في الملك الناصر:

وَجُودٌ صَلَاحِي إِذَا جَادَ صَوْبُهُ      تَعَلَّمَ مِنْهُ الْغَيْثُ كَيْفَ يَصُوبُ

هذا وجادت قرائحهم بأغراض غيرها مثل الفخر، والثراء، والإخوانيات، والغزل، التي جمعها الدكتور في كتابه مستدلا عليها بنماذج شعرية، وتحليلات توضح تأثير الحياة الاجتماعية والسياسية على موضوعاتهم، أما الجانب الشكلي، فإن الطابع التقليدي كان أكثر سيطرة على أشعارهم، فاتسمت قصائد المناسبات في غالبيتها بالطول، مثل قصيدة ابن العجمي في مدح الملك الناصر<sup>14</sup>، عدا أن هذا لا يعني غياب المقطوعات التي وجدوا فيها مجالاً للتعبير



عن مشاعرهم، وتغنيمهم بالמושحات، إلا أن القصيدة التقليدية ظلت هي المهيمنة.

أما جانب الصياغة الفنية من ألفاظ وتراكيب، فقد لاحظ الأستاذ اتساع الألفاظ الأعجمية، وميلهم إلى السهولة، ومع ذلك لم يختف الشعر الجزل بموسيقاه القوية وألفاظه، كما لاحظ كثرة الغزل الصريح وندرة العفيف، وغياب العاطفة في كثير من قصائده؛ إذ جعله بعضهم غزلاً وهمياً لا يريد منه الشاعر إلا أن يظهر اقتداره، كما فصل في خصائص أشعارهم من صور فنية، ومحسنات بديعية، وإيقاع بدت فيه رهافة حسه وذوقه الأدبي جلية من خلال نقده وتحليله للقصائد، ومن أمثلة ذلك حديثه عن المبالغة فقال: «ولكن هذه المبالغات أفست على الشعر الكثير من جماله، لأن تباري الشعراء فيها قطع ما بين شعرهم والشعور الإنساني من صلة، وذلك لأنها تبعد الشعر من أن يكون وليد حالة نفسية خاصة أو أزمة نفسية إلى أن يكون وليد إجهاد عقلي مركز واع مغرق في الخيال»<sup>15</sup>، لتكتمل الصورة الشعرية لهذا العصر في فصله الأخير الذي خصصه لشعراء هذا العصر بعد أن رتبهم تاريخياً، ملقياً الضوء على حيواتهم ومذاهبهم، و أثرها في أشعارهم.

## 2-2-2: كتاب الحركة الشعرية زمن المماليك:

عدا أن تصحيح صورة العصر الموسوم بالانحطاط لا تكتمل إلا بدراسة مفصلة لعصر المماليك، فجاء كتابه الحركة الشعرية زمن المماليك، مكملًا لمشروعه، فقسمه إلى ثلاثة أبواب درس في بابه الأول الحياة السياسية والاقتصادية وعناصر الحياة الاجتماعية والدينية، ثم الاتجاهات الفكرية المتنوعة، بغية عرض صورة مفصلة عن حياة العصر المملوكي، وإبراز أثرها على شعر هذا العصر، فجاء في مقدمة هذا الباب بلمحة تاريخية لهؤلاء

المماليك ودورهم في حماية الدين والبلاد والعباد قرابة ثلاثة قرون؛ أي من عام (645هـ/1250م) حتى (923هـ/1517م)، مشيراً إلى الضعف الذي نخر عظمهم، فضعف مركز السلطان في مصر، وتسلبت عليه أمراء المماليك، حتى كثرت القتل والعزل، ما سبّب وضعاً غير ثابت في النظام، فتفشى الفساد من رشوة، ومضاعفة للضرائب، وكانت أشعارهم بذلك صورة لهذه الحالة ما جعل سقوطهم طبيعياً على يد العثمانيين في 14 من رجب 922هـ، وقتل السلطان المملوكي قانصوه الغوري<sup>16</sup>، ما جعل الأدب في مجمله بعيداً عن الملوك، وذلك لعجمتهم، وكثرة انتقالهم، حتى أن بعضهم لم يمكث فيها إلا أياماً، فكانوا لا يلتفتون إلى الناحية الأدبية، زيادة على معاناة حلب المملوكية من غزو المغول.

أما الباب الثاني فجاء فيه حديث عن أغراض الشعر وموضوعاته في العصر المملوكي، والملاحظ في هذا العصر انتشار الشعر حتى أصبح على لسان كل مثقف، فكثرت فيه القصائد والمقطوعات إلا أننا «نتلمس التجربة الشعرية في القصائد أكثر من المقطعات، وفي الموضوعات المتصلة بالدين أو بالذات أكثر من غيرها»<sup>17</sup>، وعلى الرغم من غزارة شعر هذا العصر إلا أنه لم يصل إلينا إلا القليل بسبب ما تتابع على البلاد من حروب وأحداث ومجاعات وفقر وجهل، كما جاء هذا النتاج مقسماً بين من جعل كلامه تجربة صادقة وبين من «جعل الصنعة والغلو فيها منتهى غايته، ووجد هؤلاء الشعراء بعض التشجيع من بعض نواب حلب مثل ابن نباتة وابن وكيل وابن جابر وابن سودون القاهري والسراج والفيومي وعبد الرحمن بن علي المنوفي، وغيرهم»<sup>18</sup>.

فجاء النتاج الشعري لهذا العصر بجملة من الأغراض، أبرزها المديح الديني الذي تعاضم تعاضماً شديداً في العصر المملوكي، ردّها الدكتور أحمد فوزي الهيب إلى انتشار الزهد والتصوف، وكثرة الطوائف والأوبئة، وحروب المغول

والفرنجة، بلغت بهم العناية إلى تأليف دواوين خاصة بمدح النبي ﷺ، مثل ابن جابر الأندلسي، ولكن بمرور الزمن تحوّلت المسألة إلى قضية فنية بعد أن نُسيت مرارة الهزائم<sup>19</sup>، كما برز عندهم غرض سمّوه بالتغزل النبوي، وهو شبيهه إلى حد كبير بشعر الحب الإلهي، والبديعيات، وهي قصائد ميمية من البحر البسيط في مدح الرسول ﷺ، لكن هذا المدح لم يكن الغرض الرئيس، إنما الغرض الرئيسي أن تشمل كل قصيدة من قصائده جميع أنواع البديع، زيادة على أغراض أخرى مثل الدعاء، والنصح، والشكوى، والحكمة، والفخر، والتغزل، ورتاء المدن، فصّل فيها الأستاذ في كتابه، وشقّعها بنماذج شعرية تبرز تنوع النتاج الشعري في هذا العصر، مشيراً إلى محاولتهم في التجديد الجزئي للمعاني، بعد شيوع فكرة نفاذ المعاني، فرأينا ابن الوردي يخترع فكرة التغزل بالصفات الذميمة، فتغزل بالخرساء والطرشاء، والعرجاء، والجمع بين التغزل والمدح، ومدح الكتب، وهجاء العلوم كهجاء السارج لعلم المنطق<sup>20</sup>.

أما الباب الثالث من كتاب الحركة الشعرية زمن المماليك، فشمّل دراسة تحليلية لعناصر الشكل، صدر الفصل الأول بدراسة لغة الشعر وموسيقاه، ورأى أنّ لغته «قد حافظت على الألفاظ العربية الخالصة على الرغم من أن اللغة الدراجة، بل لغة التأليف أيضاً، قد تسرّب إليها كثير من ألفاظ اللغات التي خالطت العربية»<sup>21</sup>، ليميّز بعدها بين اتجاهين لشعراء هذا العصر، اتجاه الجزالة واتجاه السهولة، وتبدو الجزالة واضحة في الموضوعات الرسمية المهيبية كالمدح والفخر، وضرب لذلك أمثلة منها لامية ابن جابر التي مدح بها الرسول ﷺ، ولكن «نجاحهم بعامة كان قليلاً، وذلك لأنهم توسلوا بمفردات لم يكونوا يستخدمونها من قريب أو من بعيد في حياتهم اليومية، الأمر الذي جعل بعضهم لا يستطيع الاستمرار فيها أكثر من أبيات قليلة، ما جعل ألفاظهم تتسم بالجفاف»<sup>22</sup>، أما مذهب السهولة- وهو كثير مقارنة بشعر مذهب

الجزالة- فجاء نتاجا للاحتكاك الدائم مع الأمم الأخرى، زيادة على اهتمامهم بالغناء، ما جعل ألفاظه قريبة من العامية، حاملة للألفاظ الأعجمية والأمثال الشعبية.

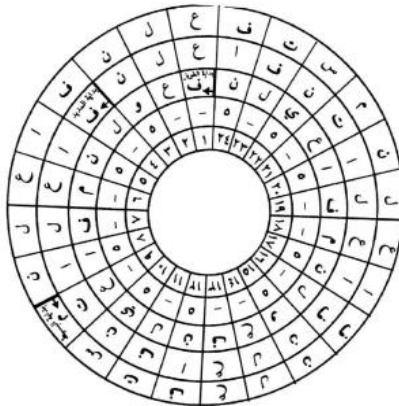
ثم تحدّث عن الموسيقى الداخلية للشعر ودور القافية في موسيقاه، ومحاولات الشعراء لتجديدها، مواكبة لتجديدهم في الموضوعات، فزاد عبد النافع بن محمد حرفا على ضرب البحر البسيط، ونظم ابن الوردي مقطوعة على بحر جديد اخترعه الهباء زهير، وقصيدة ذات الأوزان التي نظمها ابن جابر، واهتمامهم بالقافية، حفاظا عليها في مواضع بالرغم من طول القصيدة، وتفننهم فيها في مواضع أخرى، كالإتزام ما لا يلزم مع تغييره كل عشر أبيات مثل المقصورة الفريدة ل: ابن جابر، كما اعتمدوا تجنيس القافية، ولم يسلم هذا العصر من الصنعة البديعية بل صارت الهواء الذي يتنفسه الأدباء بعامة، وغدا الشعر صناعة لفظية بعد أن كان قريحة فطرية، لأن الشعراء قد أفرطوا في تحميل شعرهم بألوان البديع وأصباغ المحسنات.

وكل جهوده التي بذلها تحقيقا وتأليفا لإبراز الحركة الشعرية لما سمي بعصر الضعف والانحطاط، لا يريد بها تبرئة «ساحة شعراء العصر تبرئة كاملة مما غرق فيه شعرهم من فنون البديع المتكلفة، ولكنه يريد أن يخفف من غلواء الجور والظلم، الذي أنزله بهم بعض الباحثين، فلا ننظر إلى أدبهم بمنظار عصرنا الذي نحيا فيه الآن، لأنهم لم يقولوا شعرهم فيه أو له، وإنما ننظر إلى شعرهم بمنظارهم وقيمهم الجمالية»<sup>23</sup>.

## 2-2-2: كتاب الإيقاع الشعري:

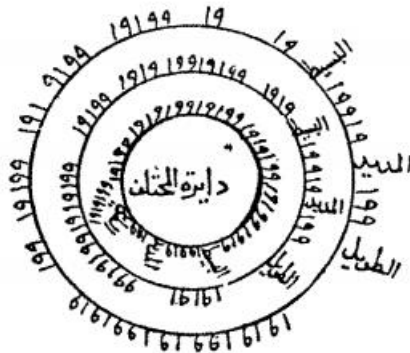
كان الأستاذ أحمد فوزي الهيب كما وصفه الأستاذ عصام قصبجي رجلا «لا يتوقف عن التفكير إلا ليستأنفه، ولا يُقبل على نشزٍ إلا ليمهده»<sup>24</sup>، وإن ولعه

بالشعر العربي وطول ملازمته له، قاداته إلى تأليف هذا الكتاب لما رأى فيه من اللازم أن يتناول مسائل العروض بالدرس والتحليل، فجاء كتابه مقسماً إلى عشرة فصول، أما الفصل الأول فجاء فيه حديثه عن دوائر الخليل بن أحمد الفراهيدي، أراد من خلاله أن يبيّن ثراء الشعر العربي وعبقريّة الخليل بن أحمدَ وذكاءه الخارق، ورسوخ قدمه في علم الإيقاع والرياضيات، ثم جهوده العظيمة التي لم تعرف الكلل، فاستطاع أن يجمع جُلَّ الشعر العربي الجاهلي ويرده إلى دوائر عروضية خمس، وكل دائرة تجمع عدداً من الأبحر المتشابهة<sup>25</sup> وإن جهود الدكتور أحمد فوزي الهيب في هذا الكتاب جليّة واضحة سعى من خلالها أن يخطو خطوة في العروض العربي فكان مبسّطاً لما رأى فيه من صعوبة وغموض، ومجدداً لما وجد في الشعر العربي من مرونة، أما جانب التبسيط فيبدو جلياً في الرسم الجديد الذي قدّمه للدوائر العروضية سعياً للتوضيح والدقة، يقول: «وعلى الرغم من أن بعض الكتب قد رسمت هذه الدوائر، إلا أنني رسمتها بطريقة مختلفة، جمعت بين البساطة والوضوح والتفصيل والدقة»<sup>26</sup>، وإن نظرة واحدة لهذه الدوائر تبين الجهد الذي بذله الأستاذ لتقديم دوائر الخليل في صورة واضحة دقيقة، فدائرة المختلف مثلاً:



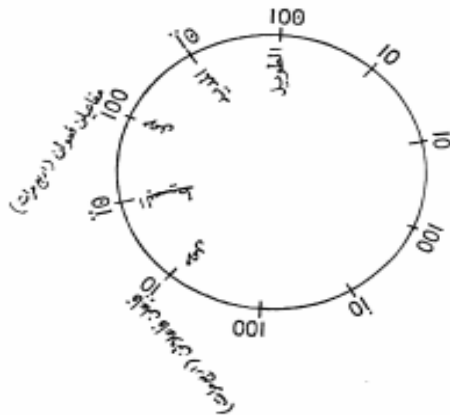
الرسم البياني رقم (01): دائر المختلف عند الأستاذ أحمد فوزي الهيب

جاءت على هذا النحو الذي يجمع بين أحرف البحر وبداياته، ورموزه، مقيدة بأرقام في أول دائرة تساعد القارئ على إدراك العلاقة بين بحور الدائرة، وتوضح هذه الجهود أكثر إذا ما قارناها بغيرها من الدوائر، فالدوائر التي اعتمدها ابن جني كانت على هذا النحو:



الرسم البياني رقم (02): دائر المختلف عند ابن جني

أما الدوائر التي اعتمدها محمود شاكر في كتابه نمط صعب ونمط مخيف فكانت على هذا النحو:



الرسم البياني رقم (03): دائر المختلف عند محمود شاكر

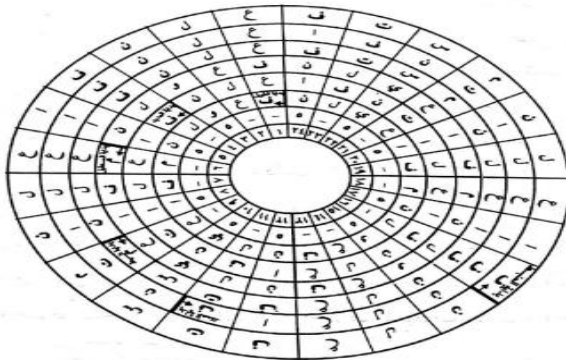
ما يوضح لنا الجهد الذي بذله الدكتور أحمد فوزي الهيب في تبسيط الدوائر العروضية، وعرضها في شكل يساعد على فهم العلاقة بين البحور ووحدتها، فانظر إلى جهده هذا وتأمل قول ابن كيسان عن كتاب سيبويه: «نظرنا في كتاب سيبويه فوجدناه في الموضع الذي يستحقه ووجدنا ألفاظه تحتاج إلى عبارة وإيضاح لأنه كتاب أُلّف في زمان كان أهله يألّفون مثل هذه الألفاظ فاختصر على مذهبهم»<sup>27</sup> تجدهما ينبعان من مشكاة واحدة، هي مشكاة ربط التراث بأهل العصر، وهو المنطق الذي سار عليه الأستاذ في رسمه للدوائر بطريقة تسير أهل عصره، وتوضح لهم عبقرية الخليل بن أحمد.

أما بقية الكتاب من الفصل الثاني إلى الفصل السابع فكان اهتمامه يدور حول إبراز جهود علمائنا في حقل العروض، فتحدّث فيهم عن السكاكي<sup>28</sup>، سعيًا منه لإنصافه بعدما نَسب بعضهم زورا لنفسه فضل صنيع السكاكي، ومحاولته لإكمال جهود الخليل، ورد البحور إلى دائرة واحدة يعود أصلها إلى البحر الوافر، منتقلا بعدها إلى حازم القرطاجني<sup>29</sup>، فقارن بين جهود علماء العروض، وبين ما قدّمه حازم من أفكار حول العلل والزحافات والدوائر العروضية، وأوزان الشعر وسماتها.

أما الفصل الثامن فعنونه بجدلية التجديد والتهديم في الشعر العربي، ناقش فيها مسألة التجديد في الشعر العربي الحديث، وكيف حوّلها بعضهم إلى عملية تهديم، ويريد بذلك مقولة قصيدة النثر التي رأها متناقضة، لأنها تصف الشيء بصفتين متناقضتين، مبيّنا قيمة العروض العربي وثرأه، وأن «قلة عدد الأوزان الشعرية لدى الغربيين وطبيعة لغتهم قد اضطرتنا يتمان وإليوت وباوند وغيرهم إلى أن يلجأوا إلى هذا النوع من الأدب، فإن أوزان الشعر العربي ذات الإمكانيات الثرية كان ينبغي أن تغني أمين الريحاني ومنير الحسامي، وغيرهما من

أن يلجوا هذه الطريق المقفرة»<sup>30</sup> ، فناقش في هذا الفصل حجج دعاة قصيدة النثر بنمط تراثي اعتمد فيه مناهج النقاد القدامى في ذكر الحجة والرد عليها، وهو أسلوب شبيه بأسلوب الآمدي وعبد العزيز الجرجاني، وعبد القاهر الجرجاني، مبينا خطورة هذه الاتجاه الذي يدعو «إلى الفوضى والضياع بعد أن تضللنا بتعاريفها الفضفاضة الغامضة اللاجمعة و اللامانة، والحقيقة أنها مؤامرة كبرى، عرف المشتركون بها أم لم يعرفوا، لأنها تريد أن تقطعنا عن تراثنا، وأن تهدم الشعور القومي فينا»<sup>31</sup> .

وهذا لا يعني رفضه للتجديد والمضي قدما، إنما كان ينظر إلى التجديد من داخل التراث لأن «التراث صخرة يجب أن نبني عليها حاضرنا ومستقبلنا، وأن نحقق ذواتنا، وذلك بأن يكون الواحد منا أمينا وحرًا في وقت واحد، أمينًا على تراثه يحفظه ويفهمه ويقدره ويغار عليه ولا ينقطع عنه، وحرًا لا يتعبده ولا ينقطع إليه»<sup>32</sup> ، فالمسألة قائمة على العناية بالتراث والسعي على تطويره، وهو ما سعى الدكتور أحمد فوزي الهيب إلى تطبيقه في الفصل التاسع، باكتشافه للبحر المنبسط، الذي فككه من دائرة المختلف، وسمّاه بالمنبسط لأن تفاعلاته هي تفاعلات البسيط إلا أن ترتيبها منعكس:



الرسم البياني رقم (04): دائر المختلف عند الأستاذ أحمد فوزي الهيب



فإذا ما حذفنا سببا خفيا من أول البحر البسيط الذي يبدأ من الخانة رقم تسعة، لنبدأ بالسبب الخفيف الذي يليه (يقابل الخانة رقم 11) فإننا نحصل على بحر آخر وهو البحر المهمل الذي سمّاه الخليل بالممتد لأن تفعيلاته عكس البحر المديد، وإذا ما حذفنا من البحر الممتد -الذي يبدأ من الخانة رقم 11- سببا خفيف وبدأنا بالوتد المجموع - أي من الخانة رقم 13- فإننا نحصل على تكرار للبحر الطويل، أما إذا حذفنا من البحر الطويل المكرر الذي يبدأ من الرقم 13 وتدا مجموعا، وبدأنا من الرقم 16، فإننا نكتشف بحرا جديدا مهملا لم يشر إليه الخليل، وتفعيلاته:

فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن (مكررة مرتين)

0//0/0/ 0//0/ 0//0/0/ 0//0/

وهو عكس البسيط لذا سماه المنبسط كما سمي الخليل الممتد من المديد، ولعل معترضاً يقول إنما هو تكرار للبحر المديد، لأننا نستطيع أن نقرأ تفعيلاته على شكل (فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن)، وهو اعتراض صحيح من جهة وغير صحيح من جهة، وذلك لأن المديد لا يأتي تاما مثمنا إلا شذوذاً، إنما يأتي مسدسا، ويصح هذا الاعتراض لو تصورنا أن الشاعر سيأتي بجميع التفعيلات سالمة من غير مزاحفة، ما يعني أن هناك اختلافا بين المنبسط وبين المديد، وليُكمل ما بدأه من انتباهه إلى هذا البحر، نظم عليه قصيدتين واحدة من شعر التفعيلة عنوانها يا خفياً في ظهوره<sup>33</sup> والثانية عمودية عنوانها البدر والحسنة<sup>34</sup>.

ليخص الفصل العاشر<sup>35</sup> بدراسة موسيقى الشعر العربي من خلال قصيدة للمتنبى مطلعها:

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الرَّمَانَا وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا

مبيناً القيم الجمالية للإيقاع الداخلي والخارجي للقصيدة، وعلاقتها بالحالة النفسية، مبرزاً براعة المتنبي في التحكم في معجمه، واقتداره على التصرف في الوزن بما يوافق نمط القصيدة.

هي ذي أبرز النقاط التي جاءت في كتابه أشرنا إليها إشارة خفيفة تناسب طبيعة البحث، على أن يجد المهتم بهذا المجال في كتابه ما تعلق بفلسفة العروض جملة وتفصيلاً، أما ما لفت انتباهي في هذا الكتاب هو الترابط الدقيق والتسلسل المنظم لفصوله، ففي الأول عاد إلى أصل العروض أي الخليل بن أحمد ثم ذكر إبداع السكاكي و القرطاجني مبيناً جهودها في التجديد من داخل التراث، ثم قابلها بدعوة قصيدة النثر ليوضح أن التجديد لا يعني التمرد، ثم شقّعها بتجربة تطبيقية ولّد فيها من القديم جديداً سمّاه البحر المنبسط، ونظم عليه ليؤكد أن التجديد من الداخل، ثم ختمه بقراءة في قصيدة المتنبي، جمع فيها بين الأصالة والمعاصرة، وهو ما يعكس لنا طريقة بناء القضية في فكر الأستاذ أحمد فوزي الهيب رحمه الله، وسعيه في النهوض بتراث الأمة العربية الإسلامية، ولم تقف جهوده عند هذا القدر إنما لاحظت أن منهجه كان يسير على ثلاثة مستويات المستوى الأول هو التحقيق، والمستوى الثاني هو تأليف الكتب والمستوى الثالث هو المقالات العلمية؛ أي أنه يتدرج مع الموضوع حتى يحيط بكل جوانبه، ومن الأمثلة على ذلك تحقيقه لكتاب العروض لابن جني، وتأليفه لكتاب إيقاع الشعر العربي، ونشره لثلاث مقالات في هذا المجال وهي: وحدة بحور الشعر ودوائره، دوائر الخليل العروضية وقيمتها الموسيقية، وقراءة في موسيقى قصيدة للمتنبي، وتحقيقه لكتاب الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب، وديوان ابن الوردي، ونظم العقدين، وتأليفه لكتابي الحركة الشعرية زمن الأيوبيين وزمن المماليك، ونشره لمقالات في هذا المجال أبرزها الملك الظاهر بيبرس في شعر معاصريه، واللامية الشهيرة لابن

الوردي، وبهاء الدين بن شداد وكتابه النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية  
سيرة صلاح الدين الأيوبي.

### خاتمة:

كانت هذي هي أبرز الجهود التي قدّمها الأستاذ أحمد فوزي الهبيثاء  
للمكتبة العربية بإحياء تراثها، وتطويره، والتصدي لمشكلاتها، وأثره الفاعل في  
إنضاج المدرك المعرفي للمجتمع سواء من خلال مؤلفاته، أو تأطيره للطلبة  
والإشراف على توجيههم، ومن خلال بحثنا توصلنا إلى النتائج التالية:

يعتبر الأستاذ أحمد فوزي الهيب علما من أعلام الأمة الإسلامية، وشيخا من  
شيوخ محققها نظيرا لما قدّمه للفكر الإسلامي من تحقيقات تمثلت في كتاب  
العروض لابن جني، وكتاب الحسن الصفدي، وديوان نظم العقدين، وشعر  
ابن جابر الأندلسي، ديوان المقصد الصالح في مدح الملك الصالح، وديوان ابن  
الوردي، وتاريخ دمشق لابن عساكر، والدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب.

الملاحظ من مقدماته أن جهوده في توضيح معالم وجهود هذا العصر لم  
تقف عند التحقيق، بل على العكس من ذلك لم يكن التحقيق إلا الخطوة  
الأولى للدرس والتحليل. فاجتهد في تعزيز فكرته بالحجة من خلال كتابه الحركة  
الشعرية زمن الأيوبيين، وكتاب الحركة الشعرية زمن المماليك بعد أن قدّم فيها  
صورة للحياة السياسية والثقافية والاجتماعية لكل عصر، وأثرها في أدهم، ثم  
دراسته لخصائص أدب كل عصر وما حمّله من موضوعات، وما تميّز به من  
سمات فكان أمةً.

إن جهد الدكتور أحمد فوزي الهيب في كتاب إيقاع الشعر العربي، جلي  
واضح سعى من خلاله أن يخطو خطوة في العروض العربي، فكان مبسطا لما  
رأى فيه من صعوبة وغموض، ومجددا لما وجد في الشعر العربي من مرونة، أما

جانب التبسيط فيبدو جليا في الرسم الجديد الذي قدّمه للدوائر العرضية سعيا للتوضيح والدقة، وأما التجديد فتمثل في فكّه لبحر جديد سمّاه البحر المنبسط.

## الإحالات:

- <sup>1</sup> - أبو موسى، محمد، 1999م، مناهج علمائنا في بناء المعرفة، منشورات جامعة أم القرى، مكة، ص.187.
- <sup>2</sup> - ابن خطيب الناصرية، م2018، الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب، تح: أحمد فوزي الهيب، مؤسسة عبد العزيز سعود، الكويت، ط01، ص.15.
- <sup>3</sup> - الهيب أحمد فوزي، 1987م، الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب، دار المعلّ، الكويت ط01، ص.05.
- <sup>4</sup> - أبو موسى، محمد، مناهج علمائنا في بناء المعرفة، ص.112.
- <sup>5</sup> - انظر: ابن الوردي 2008م، ديوان ابن الوردي، تحقيق أحمد فوزي الهيب، مؤسسة الرسالة، حلب، ط02، ص.07.
- <sup>6</sup> - انظر المصدر نفسه، ص.07.
- <sup>7</sup> - انظر المصدر السابق، ص.11.
- <sup>8</sup> - الضّير محمد بن أحمد، كتاب شعر ابن جابر الأندلسي، 2007م، جمع وتحقيق: أحمد فوزي الهيب، دار سعد الدين، دمشق، ط01، ص.08.
- <sup>9</sup> - ابن خطيب الناصرية، الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب، ص.17-18.
- <sup>10</sup> - الهيب أحمد فوزي، 2006م، الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب، جامعة حلب، حلب، ط02، ص.07.
- <sup>11</sup> - الضّير محمد بن أحمد، 2006م، كتاب شعر ابن جابر الأندلسي، ص.06.
- <sup>12</sup> - الهيب أحمد فوزي، الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب، ص.37.
- <sup>13</sup> - أنظر المرجع نفسه، ص.51.
- <sup>14</sup> - انظر المرجع السابق، ص.168.
- <sup>15</sup> - المرجع السابق، ص.159.
- <sup>16</sup> - انظر: الهيب أحمد فوزي، الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب، ص.29-32.
- <sup>17</sup> - المرجع نفسه، ص.86.
- <sup>18</sup> - المرجع نفسه، ص.15.
- <sup>19</sup> - انظر: المرجع السابق، ص.87.

- <sup>20</sup> - انظر: المرجع نفسه، ص.325.
- <sup>21</sup> - المرجع نفسه، ص.340.
- <sup>22</sup> - المرجع نفسه، ص.342.
- <sup>23</sup> - المرجع نفسه، ص.396.
- <sup>24</sup> - الهيب أحمد فوزي، 2004م، إيقاع الشعر العربي من الدائرة إلى الحرف، دار القلم العربي، سوريا، ط01، ص.07.
- <sup>25</sup> - المرجع نفسه، ص.26.
- <sup>26</sup> - المرجع نفسه، ص.27.
- <sup>27</sup> - أبو موسى محمد، 1998م مدخل إلى كتابي عبد القاهر، مكتبة وهبة، مصر، ط01، ص.111.
- <sup>28</sup> - انظر: الهيب أحمد فوزي، كتاب إيقاع الشعر العربي، ص.49-64.
- <sup>29</sup> - انظر المرجع نفسه، ص.65-141.
- <sup>30</sup> - المرجع السابق، ص.177.
- <sup>31</sup> - المرجع نفسه، ص.181.
- <sup>32</sup> - المرجع نفسه، ص.22.
- <sup>33</sup> - المرجع السابق، ص.300.
- <sup>34</sup> - المرجع نفسه، ص.301.
- <sup>35</sup> - المرجع نفسه، ص.203-227.

## المراجع:

- أبو موسى، محمد، 1999م، مناهج علمائنا في بناء المعرفة، منشورات جامعة أم القرى، مكة.
- ابن خطيب الناصرية، م2018، الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب، تح: أحمد فوزي الهيب، مؤسسة عبد العزيز سعود، الكويت، ط01.
- الهيب أحمد فوزي، 1987م، الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب، دار المعلا، الكويت ط01.
- ابن الوردي 2008م، ديوان ابن الوردي، تحقيق أحمد فوزي الهيب، مؤسسة الرسالة، حلب، ط02.
- الضَّيِّر محمد بن أحمد، كتاب شعر ابن جابر الأندلسي، 2007م، جمع وتحقيق: أحمد فوزي الهيب، دار سعد الدين، دمشق، ط01.
- الهيب أحمد فوزي، 2006م، الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب، جامعة حلب، حلب ط02.
- الهيب أحمد فوزي، 2004م، إيقاع الشعر العربي من الدائرة إلى الحرف، دار القلم العربي، سوريا، ط01.
- أبو موسى محمد، 1998م مدخل إلى كتابي عبد القاهر، مكتبة وهبة، مصر، ط01.